ديوان الأعشى الكبير

شرح الدكتور محمد حسين

للاستاذ أحمد بك رمزى

أهدى إلى الدكتور محمد حسين ، أستاذ الأدب العربى بجامعة فاروق نسخة من ديوان الأعشى ميمون بن قيس ، الذى قام بشرحه والتعليق عليه ، وقد وجدت نفسى إزاء هذه اللفتة الكريمة ، وأمامى مجلد ضخم من الشعر الجاهلى ، تأنق الأستاذ الكريم فى إخراجه للناس ، بعد أن بذل الجهد فى تحقيقه . فهو يقول إن صلته بالأعشى بدأت عام ١٩٣٤ حينما كان طالبا بقسم اللغة العربية بجامعة فؤاد ، فاتخذ العصر الجاهلى ميدانا لدراساته وأبحاثه ، وجاء ديوان الأعشى باكورة لعمله العلمى ، أرجو أن يتبعها الكثير من تحقيقه ، وقد أكبرت فيه همة إخراج هذا العمل العظيم ، أقول ذلك وليس الأدب صناعتى ، لأنى أقر بأن بضاعتى قليلة فيه ، أقول هذا من غير تواضع وإنما لأقرر حقيقة واقعة ، فأنا أتذوق الأدب العربى وغيره من آداب اللغات الأجنبية ، أتذوقه كما أتذوق الموسيقى الحية ، ولست من أهل الموسيقى ، لأن الأدب فى نظرى فن رفيع ، ولا يمكن للانسان أن يحيا ويعيش من غير أن يتذوقه ، بل أذهب إلى أكثر من هذا فأقول إننى أحب معاشرة الأدباء وأهرع لمجالستهم وترتاح نفسى إليهم ، بل أعد كل لحظة أقضيها معهم متعة لى ، ويرجع هذا إلى ما ألمسه فى الأديب من رقة الإحساس وجمال الطوية ، بل أننى أراهم من خيرة الأنام وسط هذا العالم الذى وجدنا أنفسنا ونحن نعيش فيه ، فدخلنا فى أوساطه وولجنا غمراته ، وفيه الحسن والسيء من الناس والأشياء . فهل غريب علينا أن ننعم بما فيه من أطيب الأشياء ، والأدب والأدباء هم فى الحقيقة من أطيب النعم التى جاء بها هذا الكون على الناس ، ولذلك فإنى أشكر الأستاذ الدكتور محمد حسين إذ أتاح لى أن أعيش فى جو شاعرية الأعشى فترة من الزمن ، وسط مشاغل الدنيا ومتاعب الناس . . .

أذكر أننى قرأت فى كتب الأدب أن الأعشى كان أول من سأل بشعره وانتجع أقاصى البلاد وكان يغنى به فسموه «صناجة العرب»

ولست أشك فى شاعرية الأعشى ، ولا أقل من قوة ومتانة الشعر الجاهلى وأثره فى حياة العرب ، بل ان الأمة التى أخرجت هذه الثروة الأدبية وقامت عليها دعامة الإسلام ، لابد أن أراضيها وبقاعها كانت أكثر جمالا وعمرانا مما هى عليه الآن ، ولى فى هذا الرأى ما يمكن أن يقتعنى ويقنع الناس بصحة ما أقول

ومع هذا فإنى قد أنست بقراءة جزء كبير من شعر الأعشى وسأعود إلى شعره من آن لآخر ، لأنه مورد لاينضب ، فيه كل الدوافع التى تحتاج إليها النفس ، لكى تتريض على مواجهة حوادث هذه الحياة المرة

لقد قرأت له قصيدته التى مطلعها :

ذرينى لك الويلات آتى الغوانيا متى كنت زواما أسوق السوانيا

فما وصلت إلى البيت السابع الذى يقول فيه :

وان بشر يوما أحال بوجهه عليك فخل عنه وإن كان دانيا

حتى وقفت أمام هذه الفلسفة التى تتمثل فى حياتى التى أحياها اليوم ، فكأن الأعشى يعبر عن كل ماخالج نفسى وملأ ضميرى ، وكأننى لم أفقد شيئا من محاسن الدنيا حينما أخذت بهذا الرأى

ويفسر الأستاذ الدكتور هذا البيت بقوله :

«وإن صد عنك رجل من الناس ، فاصدد عنه كائنة ما كانت قرابته» كما فسر مطلع القصيدة . يقول :

«ذريني ـ لك الويل ـ أمتع نفسى من النساء : فما أنا بصاحب زرع ، ولا أنا ممن يسوق الجمال»

وأختلف معه فى تفسير كلمة زرع هذا التفسير ، فأقول انه يقصد الذرع من باب ذرع ، وهو مما يذرع به . أى أنه يسوق الإبل فيقطع بها المسافات البعيدة فيسلمها لأصحابها ويعود ليسوق غيرها ، فكأنه ذراع يقيس المسافات ويتاق أجره عليها ، ولايستقر به مكان ، فهو لايقصد هنا صاحب زرع [1] وقوله « ولعله من

الرسالة تخالف الأستاذين الفاضلين فيما اتفقا فيه واختلفا من تفسير الشطر الثانى من بيت الأعشى ، فان الشاعر يريد بقوله : «متى كنت زواما أسوق السوانيا» : متى كنت قلاعا أسوق السواق ؟

والسانية الغابة التى تجر الدلو من البئر . وتطلق كذلك على مجموعة من الدلاء يشد بعضها الى بعض كسانية (الفواخير) فى بعض قرى مصر . والسانية بهذا المعنى لا تزال تستعمل فى العراق لسقى الأرض . والغابة فى اخراجها الدلاء من الماء لا تدور ، وانما تدير فتنزل الدلو وتقبل فتخرج . وفى المثل : « سفر السوانى سفر لا ينقطع » لأن ما تتقدمه تتأخره

ساس الدواب يسوسها سياسة إذا قام عليها وراضها » ويظهر من شعر الأعشى أن الكلفين بإبصال الإبل وقطع الفيافي كانوا يتقاضون أجورا باهظة : ولقد عشت في وقت كانت قطعان الإبل تمر على بلادنا بأيام الشرقية جماعات طويلة يقودها رجال من نجد يلهجون بلغة بدوية ، ولهم مصطلحات في أنواع الإبل وجماعاتها وسيرها وركبها ، ولا يزال تجار الجمال في فاقوس وبلبيس يستوردونها من الشام رغم قيام إسرائيل بين مصر وجزيرة العرب ، وهم يجمعون الثروات من ذلك

وأقول انني معجب بطريقة الدكتور محمد حسين في الشرح والتعليق ، وأكثر من ذلك أعجب بحله لأشعار الأعشى نثرا وأمام كل بيت ، ان هذا المنهج إذا اتبع مع دواوين الشعر لجعل الأدب العربي تحت متناول الناس جميعا : ولذا فمنهج الأستاذ فتح كبير للأدب العربي ، ويذكرني هذا بما قرأته في كتاب المثل السائر حين يقول صاحبه : « ولقد مارست الكتابة ممارسة كشفت لي عن أسرارها ... فما وجدت أعون الأشياء عليها إلا حل آيات القرآن الكريم والأخبار النبوية وحل الأبيات الشعرية »

ثم ذكر أن حل الأبيات الشعرية ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول — أن يأخذ الناثر بيتا من الشعر فينثره بلفظه من غير زيادة

الثاني — وسط بين الأول والثالث

الثالث — أن يؤخذ المعنى فيصاغ بألفاظ غير ألفاظه ، ثم يتبين حذق الصائغ في صياغته ، ويعلم مقدار تصرفه في صناعته

ثم ساق أمثلة كثيرة على ما يقول . .

وأكرر قولي بأني أعجبت أيما إعجاب بما قام به الأستاذ الدكتور محمد حسين من حل أبيات ديوان الأعشى . فأي طريقة من الطرق الثلاث اتبع ؟ أغلب الظن أنه أخذ بالثلاثة مناهج

ولا أخفي على القارئ أنني بدأت القراءة في شعر الأعشى بنثر الأستاذ الدكتور محمد حسين ، ولا أبالغ إذا قلت ان محاسن شعر الأعشى قد بدت في نثر الأستاذ قبل أن أقرأ النظم ، بل ان شاعرية الأعشى تضاعفت في ذهني لدى قراءة شعره بعد أن استحضرت المعاني في نثر الأستاذ الشارح ، وهذا ما أقول عنه انه فتح جديد ، وتمهيد لدراسة الأدب العربي ، وجعله تحت متناول شعوب العرب ، وهم ملايين الناس قد انقطعت الصلة بينهم وبين ماضيهم وتراث أسلافهم ، فعمل الدكتور إذا ساو فيه وقدر لغيره أن يسير على منهاجه ، وأن تطبع دواوين الشعر وما جاء في كتب السلف على هذا النحو ، سيهز العربية هزا ، وسيجعل الآلاف من أبنائها يرتشفون محاسنها ، ويعودون إلى جمالها ، ويحنون إلى أيامها ، ويعرفون من ماضي لغتهم ما يجعلهم يعتزون بها ويغارون عليها ، ويتغنون بها ويتمثلون بشعرها انظر إلى نثره . .

« قالت سمية ، إذ لاح لها البرق من فوق الجبال :

ياحبذا وادي النجير ، وحبذا قيس ، رجل الخير والإفضال . .

القائد الخيل الجياد الضوامر ، مضى في عدوها كالسهام . .

والمتعفف من الكسب الخبيث إذا تهيأ للقتال »

يبدو الكلام لي هنا ، وقد أخذ الشارح بالطريقة الأولى أي أخذ الناثر بيتا من الشعر فنثره بلفظه . وقد جاء الحل هنا من غير زيادة ، ولكنه نثر شعري يحمل قوة الأصل ومتانة لفظه واسترساله ، ولا عيب بتاتا فيه

والأمثلة على ذلك كثيرة ، وقد تكون هذه الفقرة أسهلها ، ولما أجزم بوجود فقرات وجمل كثيرة تزيد عليها فصاحة وجمالا ، فلله دره ، وألف شكر على هديته ، وعلى ما بذل من جهد في إخراج شعر الأعشى إلى النور

أحمد رمزي

المدير العام لمصلحة الاقتصاد الدول

ظهر المجلد الثالث
من كتاب
وحي الرسالة
فصول في الأدب والنقد والسياسة
والاجتماع والقصص
للأستاذ احمد حسن الزيات

طبقات الحنابلة

لابن رجب عبد الرحمن بن أحمد

المتوفى سنة ٧٩٥ هـ .

نشره الدكتور سامي الدهان

للأستاذ ابراهيم الابياري

الطبقات — ولا ضير أن أميل بك نحو اللغة ميلة — جمع طبقة بفتح فسكون ، ومعناها ما تعرف : القوم المتشابهون . ويكاد يكون الناظر في هذا التصنيف بادئ ذي بدء رجال الحديث ومن لف لفهم . فمن هذه الطبقات المحدثة الراوية نقل إلى المسلمين تراثهم الديني الخالد . ولهذا الأمر خطر . فلا غرو أن تسبق العناية به غيرها في نواحي أخرى ، ويسبق المحدثون إلى الرواة يميزونهم على الأسنان واللقيا والسبق إلى الإسلام ، أمناً للشبهات وتخلصا من التدليس

وتعرف في الطليعة ابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ بكتابه الطبقات الكبرى ، أو طبقات الرواة كما يقول حاجي خليفة . ثم حذا حذوه ابن عبد البر وابن منده وأبو نعيم وابن الأثير وابن حجر

ونرى الأدب يجري مع الحديث في هذا الميدان. فإن ابن سلام صاحب طبقات الشعراء مات سنة ٢٣٢ أي بعد ابن سعد بعامين والرجلان بصريا النشأة ، جاران في الحياة ، وكلاهما له كتاب في الطبقات ، هذا في الحديث وذاك في الشعر ، وسبق عامين يكاد لا يرجح ، ولكن طبيعة الفكرة وما توحي به وتدعو إليه تجعلنا مع ماسبقنا بظن ، وهو أن السبق في هذا للمحدثين ، وأن هذا العمل بتلك البابة أدنى وأشبه ، ومع غيرها محاولة المقلد ، وأن ابن سلام مشاكل لا مبدع وأنه التقط الفكرة التقاطاً ثم أخضع لها ما يملك من تراث الشعراء فصنفهم طبقات

ثم شاع هذا النوع من التأليف فلم يقف عند رجال دون رجال، ولا عصر دون عصر ؛ وخرج عن غرضه الأول إلى منهج المؤرخين لولا ما يزيده من ضم المترجم لهم إلى فئات

وتكاد تكون طبقات المذاهب الأربعة من هذا ، وإن حملت في سعيها الأولى ظلا من ذلك المعنى الذي حدا المحدثين إلى وضع رجالهم على طبقات . فالمتصلون بأئمة المذاهب والمتلمذون عليهم والآخذون عنهم محدثون واعون قد ينقولون شيئاً يفوت التدوين ويعز على التحرير ، ولكن الأمر في غير هذا وبعد أن قيدت الأقلام ما تنطق به الألسنة ، وبعد أن أملى الأشياخ وكتبوا ، هو من التاريخ لا يقوم إلا على تلك الفكرة الأولى التي عنت المحدثين والتي أسسوا عليها طبقاتهم . وحسبك أن الأمر انقضى عند المحدثين وبقي موصولا عند غيرهم . ولو شاء مؤرخو اليوم أن يصلوه لوصلوه . وما لي أنسى أن الفرع الحنبلي انتهى في طبقاته إلى ٧ ١٢ هـ وأن الشطبي وصلها إلى سنة ١٣٢٥هـ

والحنابلة والشافعية أسبق من الحنفية والمالكية في جميع طبقاتهم . ويكاد يكون الحنابلة أسبق من الشافعية . فقد علل المتوفى سنة ٣١١ أول جولة في هذا الميدان ؛ وأن وفاة ابن حنبل — كما تعلم — سنة ٢٤١ هـ . ولعل سبب ذلك هو الصراع الذي قام بين المذهب في نشأته ، وبين الرأي المحيط به ، وأنه لم يحظ برعاية ذوي الجاه، بل أوذي وأوذي أصحابه، وحورب وحورب رجاله، فكان هذا داعياً لأن يلتفت أصحابه إلى مذهبهم يحفظونه ، وإلى رجالهم يترجمون لهم . وقد عرفنا الشدائد مع الأيام حافزة

وتلا الشافعية الحنابلة ، فكان أول من صنف في الطبقات منهم محمد بن سليمان المتوفى سنة ٤٠٤ . وبعد الشافعية المالكية ، وأحسب ترتيب المدارك للقاضي عياض بأكورتهم في هذا . ثم جاء الحنفية بأخرة ، فكان القرشي عبد القادر بن محمد المتوفى سنة ٧٧٥ أول من صنف لهم الجواهر المضيئة

وابن رجب ذيل لطبقات الحنابلة لأبي يعلى الفراء المتوفى سنة ٥٢٦ هـ . الذي جمع رجال المذهب من لدن عصر الإمام إلى سنة ٥١٢ ، وابتدأ ابن رجب بأصحاب أبي يعلى حتى سنة ٧٥١ . وقد جمع ابن رجب في ذيله تراجم لنحو قرنين ونصف من الزمان على نحو فيه إقاضة وفيه سعة ، فقد ذكر كثرة من الأحاديث بأسانيدها ، كما عرض لكثير من المسائل الفقهية وغيرها من الفتاوى . بيد ذلك كله خلال التراجم لم يتخفف منه حرصاً على أن يفيد وينفع ، كما لم يفته أن يروح بما أثر للفقهاء من شعر

والرجل ذو أسلوب متميز فيه وضوح وفيه سلاسة، هذا هو الكتاب الذي شمر له الأستاذان الجليلان حمزي لاووست وسامي

الدهان . أما أولها فتصرف له صلته القديمة بالحبابة ورسالته القيمة فى ابن تيمية التى تعد مرجعاً فى هذا الباب ، وأما ثانيها فقد عددنا له جولات فى النشر موفقة ، وكاد اسمه يحفظه كل متصل بالحركة الأدبية . وفى الأمس القريب عرفت بكتابه « زبدة الحلب » . وأكاد أمضى أنكر لا حقاً بعد سابق فأجدنى غير موف ، وتسرع إلى ذاكرتى تلك الأحدوثة التى لقناها صغاراً عن عجوز كان يغرس نخلة ورآه الخليفة ، وحين أخذ يحاوره راقته إجابته فكافأه على الأولى ثم على الثانية ، وما أن أمر وزيره بمنحه الثالثة حتى هم بالانصراف وهو يقول لوزيره سوف تفرغ خزائننا ولا تفرغ أحوبته الحلوة

ألا رفقاً بنا أيها الزميل الكريم ، فسوف نعيا بوفائك عن الخليفة بمكافأة ذلك العجوز الغارس ، فلك الله عنا يرزقك العون والصبر لنرى لك مع كل عام جديداً فى النشر

وإنا لنرجو للأستاذين الجليلين توفيقاً متصلا فى هذا العمل الجليل الذى بدآ به ، سائلين الله لهما المديد من العمر ، والمزيد من العافية ؛ لنرى لهما الجهود الموفقة فى هذا الميدان

ابراهيم الابيارى

إلياس القنوع

عن ليو تولستوى

بقلم الأستاذ رمزى مزينيت

أفاق إلياس يوما ليجد أن والده وسنده الأوحد قد ارتحل عنه إلى الدنيا الثانية ، تاركا إياه وزوجه الفتية وحيدين معدمين ، لا يملكان من حطام الدنيا إلا رقعة أرض صغيرة لا تكاد تأتيهما بما يسد الرمق

ولكنه تشدد وصبر على الخطب وقاله رابط الجأش . ثم اتكأ على عصا نفسه وسل صارم عزمته وامتطى جواد الشبيبة ودفع به إلى حلبة الكد والجد . وانقلب إلى أرضه الصغيرة يحرثها ويبق تربتها ويسقى غرسها ويتعهد نبتها . وقضى فى ذلك سنوات عدة لم يستبطئ خلالها النتائج أو يستكثر أن تكون . بل ثابر على العمل وواظب على مصادمة الأيام ومغالبة الحوادث ، وثبت أمام العقبات بذلها بجد جاد وعزم وقاد حتى أنقته منقادة إليه ونال من نتائجها ما يروم . فأصبحت ارقة الصغيرة سهولا شاسعة تؤتيه ثمرا شهيا وأكلا موفورا ، وانقلب البيت الصغير الحقير قصرا منيفا يغص بالخدم والحشم . وتحدث الناس وتهامسوا — انظروا ، لقد أصبح إلياس من كبار الأغنياء ، وغدت الحياة عنده جنة من جنان الله

وذاع اسم إلياس فى كافة الأنحاء وعلت منزلته بين الناس ، وتسابق كبار القوم وأشرافهم إلى كسب وده ومرضاته . فكان يرحب بهم ويحسن وفادتهم ، فينصرفون وألسنتهم تلهج بشكره وحمده

ولم تمنعه علو منزلته وعظيم نعمته عن مواصلة الجد والاجتهاد ورعاية أملاكه ومواشيه بنفسه دون أن يعتمد على من كان يعمل فى خدمته من عمال وأجراء

وكان لإلياس صبيان وصبية ، وكان ثلاثتهم يأخذون بيده ويساعدونه فى عمله يوم كان فلاحا بسيطا فقيرا . فلما اتسع رزقه زوجهم جميعا وأجرى عليهم من نعمه نصيبا كبيرا . ولكن الترف والبحبوحة أفسدا الولدين ، فارتديا رداء الرذيلة وأعطيا النفس الصامتة هواها . ولم يلبث الأكبر أن قتل فى مشادة ، واختلف الأصغر مع والده بتأثير من زوجه الخبيثة وطلب الانفصال عنه . فأعطاه الوالد بيتا وقسما من ماشيته ، فقلت بذلك ثروته . ولم تلبث النكبات بعد ذلك أن أخذت تتوالى عليه متعاقبة . فتفشى المرض بين الماشية وقضى على معظمها ، وتلا ذلك سنوات عجاف أجدبت فيها مواسم الحصاد ، ومات ما تبقى لديه من ماشية . وهكذا أخذت ثروته تذوب شيئا فشيئا بعد أن طوى عهد الشباب والقوة وأعجزه الكبر وجاء يوم وهو على أبواب السبعين من عمره ، باع فيه كل ما يملك ، ووجد نفسه وجها لوجه أمام الفقر والعوز . وكانت ابنته قد ماتت وابنه الذى